سورة الفرقان

٧١٤ ـ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ ﴿تبارك﴾ هذه كلمة لا تستعمل إلا لله بلفظ الماضى، وذكرت فى هذه السورة فى ثلاثة«١» مواضع تعظيمًا لله تعالى.

وخصت مواضعها بذكرها لعظم ما بعدها.

الأول: ذكر الفرقان وهو القرآن، المشتمل على معانى جميع كتب الله.

والثانى: ذكر النبى ﷺ ومخاطبة الله له فيه، وروى: «لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات».

والثالث: ذكر البروج، والشمس والقمر والليل والنهار ولولاها لما وجد فى الأرض حيوان ولا نبات.

٧١٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾.

إن قلت: الخلق هو التقدير، ومنه قوله تعالى: ﴿وإذ تخلق من الطين﴾ فكيف جمع بينهما؟

قلت: الخلق من الله هو الإيجاد فصح الجمع بينه وبين التقدير، ولو سلم أنه التقدير، فساغ الجمع بينهما لاختلافهما لفظًا، كما فى قوله تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾.

٧١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ..﴿٣﴾﴾ الآية.

---

٧١٤ ـ راجع تفسير القرطبى ١٨/ ٢٠٥.

«١» المواضع الثلاثة فى هذه السورة وهى: الأول عند ذكر الفرقان ﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده﴾ والثانى عند ذكر النبى ﷺ ﴿تبارك الذى إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك﴾ والثالث عند ذكر البروج ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا﴾ ومثل هذه الآيات قوله تعالى: ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ﴿تبارك الله رب العالمين﴾ ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾ انظر المطبوعة.

قاله هنا بالضمير ﴿من دونه﴾ وقاله فى «مريم:١٨» و«يس:٧٤» بلفظ «الله» موافقة لما قبله فى المواضيع الثلاثة.

٧١٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ قدم الضر على النفع لمناسبة ما بعده، من تقديم الموت على الحياة.

٧١٨ ـ قوله تعالى: ﴿.. أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال فى وصف الجنة ذلك، مع أنها لم تكن حينئذ جزاء ومصيرا؟

قلت: إنما قال ذلك لأن ما وعد الله به فهو فى تحققه كأنه قد كان أو أنه كان فى اللوح المحفوظ أن الجنة جزاؤهم ومصيرهم.

٧١٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾.

إن قلت: لم أخر ﴿هواه﴾ مع أنه المفعول الأول؟

قلت: للعناية بتقديم الأول، كقوله: علمت فاضلاً زيدًا.

٧٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾ ذكر الصفة مع أن الموصوف مؤنث نظرًا إلى معنى البلدة وهو المكان لا إلى لفظها، والسر فيه تخفيف اللفظ.

وقدم فى الآية إحياء الأرض، وسقى الأنعام، على سقى الأناسى، لأن حياة الأناسى بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم ما هو سبب حياتهم ومعاشهم، ولأن سقى الأرض بماء المطر، سابق فى الوجود على سقى الأناسى.

٧٢١ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ..﴿٥٥﴾﴾ الآية، قدم النفع على الضر موافقة لقوله قبل ﴿هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾.

---

٧١٧ ـ انظر البرهان ٣٤٤.

٧٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴿٥٧﴾﴾ أي ما أسألكم عليه إبلاغ ما أنزل على من أجر ﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه﴾ إى إلى ثوابه ﴿سبيلا﴾ أى فأنا أدلة على ذلك، فهو استثناء منقطع.

وأما الاستثناء فى قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾ فمنسوخ بقوله تعالى: ﴿قل ما أسألكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله﴾ على ما روى ابن عباس رضى الله عنهما. أو هو استثناء منقطع كما عليه المحققون تقديره: لكنى أذكركم المودة فى القربى.

٧٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ لم يقل «أئمة» رعاية للفواصل أو تقديره: «واجعل كل واحد منا إماما».

٧٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾﴾، جمع بين التحية والسلام، مع أنهما بمعنى لقوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ ولخبر «تحية أهل الجنة فى الجنة السلام» لأن المراد هنا بالتحية: سلام بعضهم على بعض، أو سلام الملائكة عليهم، وبالسلام سلام الله عليهم لقوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾.

أو المراد بالتحية إكرام الله لهم بالهدايا والتحف، وبالسلام سلامه عليهم بالقول، ولو سلم أنهما بمعنى فساغ الجمع بينهما، لاختلافهما لفظًا كما مر نظيره.

« تمت سورة الفرقان »